سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٥٧)

فضل الذكر

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ

فضل الذكر

00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٥٧)

فضل الذكر

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد ذكر أن من صفات المؤمنين التي يلازمونها في كل أحوالهم أنهم يكثرون من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالمؤمن يعلم أن الذكر عبادة، بل إنه يفتتح عباداته بالذكر، ويختتم عباداته بالذكر، فالصلاة تُختتم بذكر وهو الاستغفار، والصوم يُختتم بذكر وهو الدعاء عند الإفطار، والزكاة عند بذلها وإعطائها المحتاج تُختتم بذكر وهو دعاء القبول، والحج كذلك، فقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي هذه الدقائق المعدودة سنقف مع حديث ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه ذكر يقال عقب عبادة يفعلها كثير من المسلمين في كثير من الليالي، وذلك فيما روى أبو داود من حديث أبي بن كعب، وجاء من حديث عبدالرحمن بن أبزة عند الإمام أحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا صلى الوتر ثلاث ركعات وسلم من وتره، قال: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**»، وجاء عند أحمد من حديث

عبدالرحمن بن أبزة وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمد صوته في الثالثة.

❋ -أيها الأفاضـــل-؛ إن هذا الحديث الوارد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا معه ثلاثة أمور أو أربع:

۞ **أول هذه الأمور**: ننظر كيف أن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتفوا بنقل ما قاله، وإنما زادوا على ذلك بأن نقلوا صفة قوله بأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يمد التسبيح.

فالصـحابة -رضـوان الله عليهم- نقلوا أقوال النبي وأفعاله وهيئاته وصـفاته، بل نقلوا سكونه وسكوته وتقاريره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فرضـي الله عنهم وأرضـاهم، فإنهم قد صـدقوا الصحبة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان لهم فضل على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنقل ما تلفظ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَفَاهَ به، فرضـي الله عنهم وأرضـاهم، وجمعنا بهم مع نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنات النعيم.

۞ **الأمر الثاني**: أن هذا الدعاء هو مســنون، ولكني ســأذكر لفظه وهيئته، وقد جاء في لفظ هذا الدعاء الذي يقال بعد الوتر صيغتان:

❁ **الصيغة الأولى**: أن يقول المرء: سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس.

❁ **والصـيغة الثانية**: جاءت عند الدارقطني بإسناد جيد أن المرء يقول كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ســبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، ســبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح.

وهذا يدلنا على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما أتى باللفظ الأول، وربما أتى باللفظ الثاني، وهذا الدعاء جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمد الجملة الثالثة، **ومعنى مدها، أي: أنه يمد حرف المد فيها وهو الألف والواو والياء**، فيقول: سبحان الملك القدوس، وهكذا.

وقد استدل أحمد من قول عبدالرحمن بن أبزة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمد التسبيح أنه يُشرع فيه الجهر، بل يندب، فيشرع رفع الصوت فيه، وهذا هو المسنون في هذه اللفظة.

۞ **الأمر الثالث** الذي يتعلق بهذا الحديث وهو أن هذا الدعاء فاضل بعد الوتر، بل إن الإتيان به أفضل من الاستغفار، وإنما يكون الاستغفار فاضلًا بعد الصلاة إذا كانت الصلاة فريضة، فقد جاء من حديث ثوبان وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن حديث غيرهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا انفتل من صلاته -قال أهل العلم: هي الفريضة-، يقول: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

❋ **ولذا قال أهل العلم أن الصلوات ثلاث باعتبار ما يقال بعدها:**

۞ **فإن كان فريضة الفرائض الخمس** فإن أول ما يتلفظ به المرء من الأذكار بعد الفريضة الاستغفار كما جاء في حديث ثوبان.

۞ **وإن كانت الصلاة وترًا** فإن أفضل ما يبدأ به التسبيح الذي جاء في حديث أبي.

۞ **وإن كانت غيرها من النوافل** فلا شيء فيها مقيد، فله أن يقول ما شاء من استغفار

وتسبيح، أو أن يدعو دعاء طلب، نبه لذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

ومما يتعلق بهذا الدعاء حيث عرفنا أنه أفضل ما يقال بعد الوتر فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاله عقب الوتر مباشرة، والقاعدة عند أهل العلم كما نصوا على ذلك في كتاب الحج في مسألة التكبير أن كل ذكر قيِّدَ بدبر الصلوات سواء كان التسبيح في الوتر، أو الاستغفار في الفرائض، أو التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد بعد الصلوات، فإن محله قبل أن يقوم من مقامه، ولا يستثنى من ذلك إلا صورة واحدة، وهو إذا كان في المسجد فإن له أن يقوله ما لم يخرج من المسجد؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**فَهُوَ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ**»؛ **أي**: في المسجد.

وبناء على ذلك فإن القاعدة العامة عند أهل العلم أن كل نافلة إذا فات محلها فإنها لا تقضى إلا ما ورد به النص، فمن قام من المقام الذي صلى فيه الوتر **أي**: قام من مصلاه الذي صلى فيه الوتر فنقول قد فات السنة سنة التسبيح التي وردت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا تقضى، وإنما يأتي بما فتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه من أذكار.

❁ **أختم هذا الحديث في هذه الليلة الطيبة المباركة بالمناسبة والحكمة التي استنبطها أهل العلم من ختم الوتر بهذا الدعاء اللطيف: سبحان الملك القدوس، أو سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح.**

قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «إن أفضل الصلوات بعد الفريضة هي الوتر، وأفضل الذكر بعد القرآن هو التسبيح، فناسب أن يكون أفضل الذكر بعد القرآن يؤتى به بعد أفضل الصلوات بعد الفرائض»، وذلك أن تسبيح الله عَزَّوَجَلَّ هو أفضل كلم يقوله العبد بعد قراءته

للقرآن، وقد جعل الله جَلَّ وَعَلَا للمسبِّح ثلاث خيريات في كتابه، فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: ٧٦].

والباقيات الصالحات جاء في حديث أبي سعيد وغيره أنها: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**، وقد افتتح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الباقيات بهذه الكلمة العظيمة: سبحان الله، فهذا يدلنا على أن الانشغال بهذه الكلمة هي خير ثوابًا، فلا ثواب أفضل بعد الواجبات وكلام الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الكلمات ومنها التسبيح، وهي خير أملًا، فمن رجا أملًا وطلبًا ورجا سؤالًا وخاف أمرًا فانشغل عن ذلك بالتسبيح والتهليل والتحميد؛ فإنه يعطى سؤله وإن لم يطلبه، كما جاء في حديث عباس أن أعرابيًا جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله؛ علمني كلمات، فقال: «**قُلْ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ**، فقال الأعرابي: فهذه لله، فما لي؟ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ إِذَا قُلْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَالَ الله: سَلْ تُعْطَهْ**».

فمن انشغل بالتسبيح كانت خيرا له أملًا مما يؤمل ومما يرجو، فيعطيه الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من ذلك، وفي حديث أبي سعيد عند النسائي: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مُسَاءَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»، وآخرها خير مردًا عند الله عَزَّوَجَلَّ ومردًا في الدنيا، فهي خير من خادم كما قال النبي لفاطمة وزوجها علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهي خير من متاع الدنيا، وخير من من كثير من الأمور التي يرجوها المرء مردًا عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي ختمها بـــ (سبحان ملك القدوس رب الملائكة والروح) نكتة لحضور الملائكة قيام الليل، فإن الملائكة تحضر ليلة القدر كما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وجاء في بعض الأخبار

والســنن أن القائم تحف به الملائكة، فكأن الملائكة تكون حافة بمن قام الليل، وقد ختم ليله بصلاة الوتر، فيقول المرء: سبحان الملك القدوس، أو يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرحم ضعفنا، ويجبر كسرنا، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يعلمنا ما جهلنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمةٌ أُلقِيَت

في العاشرِ من شهر رمضانَ

سَنَةَ ثَلاثٍ وأربعينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بجامع الراجحي حي الجزيرة بمدينة الرياض